الجرجاني مجلة علمية محكمة متخصصة في تأصيل البلاغة والنقد الأدبي
العدد الأول، السنة الأولى، صيف ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م؛ صص١-٢٣
تاريخ الوصول: ٢٠١٨/١/٢؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٤/٨

المنهج العلمي ومراحله في نظرية النظم للجرجاني في ضوء نظرية كارل بوبر

راضية السادات سادات الحسيني[١]؛ عيسى متقي زادة[٢]*؛ خليل پروييني[٣]

الملخص

يستهدف هذا البحث دراسة منهج عبدالقاهر الجرجاني في نظريته على ضوء سمات المنهج العلمي المعاصر حسب نظرية كارل بوبر الفيلسوف. فيرجع سبب اختيارنا هذا الموضوع إلى مشاهدة بعض سمات النظرية العلمية المعاصرة عند نظرية الجرجاني رغم تعلّقها بالتراث كما نشاهد أن الجرجاني يخطو في طريق إنجاز نظريته خطوات علمية تنطبق على مراحل المنهج العلمي المحصاة من جانب كارل بوبر. نستعين في دراسة الموضوع بمنهج وصفي-تحليلي إذ في البداية نتصدّى لوصف المصطلحات وتعريفها ووصف مراحل المنهج العلمي وشروط النظرية العلمية حسب رأي العلماء المحدثين خصوصا كارل بوبر وبعد ذلك نصل إلى مرحلة التحليل فنطبّق تلك المراحل والشروط على نظرية عبدالقاهر. ومن نتائج البحث اقتباس الجرجاني فكرة النظم من سابقيه وتبديلها إلى نظرية علمية قد روعي فيها ثلاثة مستويات للكفاية وهي الكفاية الملاحظية والكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية التي تفضي بالنظرية إلى قدرتها على التنبؤ وتفسير التعبيرات اللغوية المستقبلية كما نستنتج أن عبدالقاهر قد خطا خطوات علمية في نظريته حينما طرحها في سبيل حلّ المشكلة التي كانت قد نشأت في ذهنه واختبرها بشواهد لغوية -أدبية وغير أدبية- كثيرة.

المفردات الرئيسة: نظرية النظم، عبدالقاهر الجرجاني، كارل بوبر، المنهج العلمي، النظرية العلمية.

---

١. دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربية مدرس - طهران rsadat1386@gmail.com
٢. أستاذ مشارك في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربية مدرس - طهران (الكاتب المسؤول) emottaqi@yahoo.com
٣. أستاذ في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربية مدرس - طهران kparvini@yahoo.com

المقدمة

كلّ فكرة توشك أن تكون لها قصة وسيرة حياة ومعرفتها عمل حسن ينير الطريق ويسهّل المسير. فالعالم الذكي المجدّ يتأمّل في سير هذه الفكرة وتطوّرها ويأخذ زاده العلمي منها لكي يبني بناء علميا جديدا في حدّ النظرية بعض الأحيان «وكثير من مسائل البلاغة بدأت ومضة في صنعة الشعر ثم وقعت عليها بصيرة عالم فميّزها بإشارة خاطفة ثم أصابها غيره وهكذا حتى تتّسع وتكتمل» (محمد أبوموسى، ٢٠١٠: ٢٢-٢٣).

فعبدالقاهر الجرجاني ذلك العالم العبقري الذي تأمّل في كلام النحاة في معاني النحو وكلام البلغاء وحذّاق الشعر والبيان في أوصاف البلاغة والفصاحة وكلام علماء الإعجاز في مفهوم النظم ومزج هذه الأقوال معا فبنى علما جديدا كان «مرامه صعبا ومطلبه عسيرا» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٦٤). هو يقول بنفسه حول استفادته من كلام العلماء: «ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها» (*المصدر نفسه:* ٣٤). فهؤلاء العلماء إما تلمّذ عبدالقاهر عليهم مباشرة إما غير مباشرة على صورة العكوف على كتبهم، على سبيل المثال نحن نرى تأثره بالقاضي الجرجاني وذكر آرائه حول النقد وتحليل بعض الأشعار في كتابه أسرار البلاغة[١].

ولكن يلزم القول بأن الجرجاني رغم استفادته من سابقيه، ما أرضته آراؤهم وأدلّتهم حول الإعجاز والنظم وحسبها كالرمز والإيماء والتنبيه: «فأجد بعض ذلك [قول العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان] كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليُطلب وموضع الدفين ليُبحث عنه فيُخرج وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٣٤). إذا نريد أن نعبّر عن هذه القضية بتعبيرات معاصرة نقول بأن تناول العلماء السابقين على الجرجاني لم يكن مبنيا على دراسة موضوعية وإنما هو أشبه بالدراسة الذاتية والخطرات العارضة ما وقف عندها أصحابها وقوفا طويلا وما أحاطوا بها من جميع جهاتها. بعبارة أخرى قد استفاد الجرجاني استفادة كثيرة من آراء سابقيه خصوصا سيبويه والجاحظ والقاضي عبدالجبار في إرساء نظريته ولكنه بسبب كون عمله عملا مدروسا موضوعيا على خلاف سابقيه جاء بثورة في ساحة علم البيان آنذاك ووضع أسس نظريته الشهيرة.

بالنسبة لمنهجية نظرية الجرجاني فيجدر بالذكر أنّ من الفوارق الموجودة بين الجرجاني وسابقيه هي خطواته الممنهجة في تطرّقه إلى مفهوم النظم. فكل حقل علمي ينفصل عن حقول علمية أخرى بواسطة موضوعه

١- للمزيد راجعوا أسرار البلاغة؛ ١٩٩١: صص ١٢٩، ١٣٣، ١٩٧، ٣٢١.

ومنهجه، فالموضوع كان موجودا عند السابقين للجرجاني حينما اعتنوا بفكرة النظم كموضوع ذوقي دون أية موضوعية ومنهجية ولكن الجرجاني كان عنده الموضوع والمنهج بصورة علمية مدونة وهذا الأمر أدّى بالباحثين إلى حسبانه كواضع نظرية النظم.

لإثبات هذه القضية –تعني كون النظم عند سابقي الجرجاني كفكرة وكونه عند الجرجاني كنظرية– كان يلزم الإتيان بالأدلة العلمية المحكمة، الأمر الذي يحمله هذا البحث على عاتقه إذ يعالج بصورة وصفية تحليلية دراسة علمية منهج الجرجاني حسب النظريات العلمية المعاصرة خصوصاً نظرية كارل بوبر[1] حول خطوات المنهج العلمي كما يعالج في خضمّها وجود بعض شروط النظرية العلمية المعاصرة في نظرية الجرجاني. هذا النوع من المعالجة المنهجية لكشف منهج نظرية تمتّ بالتراث يفيد الباحثين في كشف منهجية العلوم خصوصا العلوم الإنسانية لكي يعودوا إلى تراثهم الخصب ويكشفوا الستار عن منهجية علمائه في سبيل وصولهم إلى المعرفة الجديدة.

على هذا الأساس تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة: كيف يمكن ظهور نظرية علمية في التراث وهي تتّسم بسمات المنهج العلمي المعاصر؟ ما هي خطوات ومراحل المنهج العلمي حسب رأي كارل بوبر وكيف يمكن استخدام الجرجاني هذه المراحل في نظريته النظمية؟ ما هي الشروط التي توجد في نظرية النظم لكي تتّسم بسمات النظرية العلمية بمعناها المعاصر؟

خلفية البحث

هناك أربع دراسات تعالج منهج عبدالقاهر الجرجاني من وجهة نظر تختلف عن وجهة نظرنا في هذه الدراسة وهي ثلاث دراسات من أبي زيد[2] التي قد أشارت إلى منهج عبدالقاهر العلمي في إطار تبيين مسائل أساسية كقضية التجديد الديني، قضية منهج العلوم الإنسانية وقضية التأسيس العلمي في العالم العربي ودراسة واحدة من أحمد الخولي لا تشير إلى علمية منهج الجرجاني بل تتطرّق إلى هذه القضية برؤية قديمة مكرورة:

أ) أبوزيد (٢٠٠٥)، في مقاله "**منهج التجديد الديني عند الشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجاني**"، يعتقد بوجود كتابات كثيرة تقارن بين أعمال الجرجاني ومذاهب النقدي واللغوي المعاصرة ولكن هناك مستوى آخر لتناول فكر الجرجاني وهو مستوى المنهج الذي اتبعه في طريق الإعجاز القرآني والوصول إلى نظريته الشهيرة.

1-Karl Popper

٢- عليّ أن أشكر الدكتور أبوزيد الذي امتنّ عليّ وأعطاني دراساته القيمة كما أفادني بإرشاداته المفيدة التي أنارت الطريق وسهّل السبيل. (راضية السادات سادات الحسيني)

على هذا يتطرّق الكاتب إلى منهج عبدالقاهر في هذا الطريق الذي كان يعدّ سبباً في تمايز أعماله عن الآخرين وهو منهج التجديد الديني الذي يمثل فكر التجديد ويمكن الاستفادة منه في تجديد الفكر الديني والمجتمعي في المجتمعات العربية والإسلامية. فمنهج التجديد هذا يمثل تصور الجرجاني للعلاقة الثلاثية بين مفهومه الديني للإعجاز في "الرسالة الشافية" ومفهومه العقلي للنظم في "دلائل الإعجاز" ومفهومه للتعبير المجازي في "أسرار البلاغة" (أبوزيد، ٢٠٠٥: ١٦٨). فالباحث في نهاية بحثه القيّم يأتي ببعض العناصر "العلمية" لمنهج الجرجاني في سبيل بنائه نظريته وهي: دفاعه عن إعمال العقل وهجومه على التقليد، التأكيد على الموضوعية والوضوح في المعنى، السببية كمفهوم محوري في النظم، تطبيق الاستقراء والتوصل إلى القانون العلمي.

ب) أبوزيد (٢٠٠٧)، في مقاله "**نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني أول محاولة في العلوم الإنسانية**"، وهو يعدّ استمراراً لمقاله السابق الذي يدور حول محور المنهج ولكن ينظر إلى هذه القضية من زاوية أخرى وهي البحث حول المنهج العلمي في العلوم الإنسانية. وفي الحقيقة دراسة أعمال عبدالقاهر من هذه الزاوية تعدّ دراسة جديدة ويضاف إلى هذه الجدّة، البحث عن كون منهج عبدالقاهر منهجاً علمياً بمعناه المعاصر في العلوم الإنسانية. فينقسم بحث أبي زيد إلى ثلاثة أقسام: الأول يعالج كيفية ظهور نظرية النظم عند عبدالقاهر كنظرية إنسانية عامة في ظلّ قضية دينية تعني قضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، والثاني يعالج كيفية استخلاص الشيخ نظريته في النظم باستخدامه منهج الاستقراء. والثالث يعالج أسباب عدم النظر إلى نظرية النظم باعتبارها تطبيقاً للمنهج العلمي في العلوم الإنسانية.

ج) أبوزيد (٢٠٠٩)، في بحث معنون بـ "**العلم والنظرة العربية إلى العالم التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة**"، يستعرض في الفصل السابع من كتابه، استعراضاً تفصيليًّا منهج عبد القاهر الجرجاني في معالجته لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم وإنتاجه لنظرية النظم ويبيّن أنّ الجرجاني استخدم في معالجة قضيته منهجاً سمّاه منهج الفصل–الوصل القائم على ثلاث خطوات أساسية هي: إنشاء القضية الدينية والقضية العلمية، كلّ في مجالها بشكل كامل، والفصل بين القضيتين كلّ في مجالها، وإنشاء علاقة رابطة بين القضيتين، وهي علاقة التدرج في القدرة اللغوية بلا حدود. يجدر بالذكر أنّ أبا زيد قد أتى بهذا الاستعراض التفصيلي لمنهج الفصل والوصل عند الجرجاني في تأليفيه الآخرين ولكن ينجز هذا الاستعراض في المقالة الأولى بصورة ضمنية وفي الثانية بصورة أكثر تفصيلية.

د) الخولي (١٩٨٢)، في دراسته "**من مناهج البحث العلمي رأي في التفكير المنهجي عند عبدالقاهر الجرجاني**" يحسب منهج الجرجاني هو منهج النقد اللغوي بل منهج النحو فهو في نهاية بحثه الموجز يتحدّث

عن رأي الباحثين الآخرين حول منهج عبدالقاهر وبعد ذلك يقول بأنّ هناك أساسين للتفكير المنهجي عند عبدالقاهر وهما التأثر والأصالة، فالأمر بالنسبة لقضية التأثر واضح وكل عالم يتأثر بآراء سابقيه، أما بالنسبة لأصالة منهجه فسعى عبدالقاهر إلى أن يكون عالماً عقلانياً وفلسفته تكمن في بيان هذه الأبعاد الثلاثة: البعد الحسي والبعد العقلي والبعد الذوقي (الخولي، ١٩٨٢: ٣١). في الحقيقة هذه الدراسة الموجزة تعدّ دراسة مفيدة ولكن لا يوجد فيها كلام جديد إلا القليل، فأكثر القضايا المطروحة فيها مكرورة في الكتب والدراسات الأخرى.

هناك بعض الدراسات أيضاً تعالج المنهج العلمي عند سائر علماء التراث كالجاحظ وابن خلدون والفارابي ولكن هذه المعالجات لا تتسم بسمة العلمية ولا تتكئ على الأسس الموضوعية. على هذا لا توجد دراسات تعالج منهج عبدالقاهر العلمي إلا تلك الدراسات الثلاث للدكتور أبي زيد، ولكن جدير بالذكر أنّ هناك بعض الفروق بين هذه الدراسة ودراسات أبي زيد ترجع إلى الافتراق في وجهة النظر من نقطتين: الأولى هي أنّ أبا زيد يبحث عن منهج عبدالقاهر في إطار قضية دينية مرة وقضية إنسانية مرّة أخرى بينما تعالج هذه الدراسة منهج الجرجاني في ضوء نظرية بوبر معالجة عامة لا ترتبط بالدين أو شيء آخر. أمّا الثانية فهي غلبة النزعة التجريبية على أعمال أبي زيد عند دراسة منهج الجرجاني إذ يعتقد أنّه يبدأ من ملاحظة الوقائع بينما وجهة نظر كارل بوبر التي نختارها لكشف منهج عبدالقاهر هي وجهة عقلانية تبتدئ من المشكلة الكلية وإبداع النظرية وتطبيقها على الشواهد والامثال قابلة للملاحظة لإثباتها. ونحن نظنّ أنّ العناية بمنهجية علمائنا التراث كالجرجاني الذي أبدع نظرية رائعة في النقد واللغة وكشف خطواته الممنهجة باستخدام وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر أمثال أبي زيد –تعني وجهة نظر بوبر العقلانية حول خطوات المنهج العلمي التي تقترب إلى حدّ كبير بخطوات الجرجاني– تفتحان بابا جديدا أمام الباحثين في العلوم المختلفة خصوصا في فروع العلوم الإنسانية لطيّ الطرق الصحيحة والمناهج العلمية للوصول إلى معرفة جديدة.

الإطار النظري

١. النظم من الفكرة إلى النظرية

النظم لغةً: هو التأليف وضمّ شيء إلى شيء آخر، يقال: نظمت اللؤلؤ أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله. ومنه: نظمت الشعر ونظّمته والنِّظام: الخيط الذي يُنظم به اللؤلؤ... (ابن منظور، لا تا، ٥٨٧/١٢).

ويقول باحث آخر حول معنى هذه الكلمة: «معناها نظم حبات العقد ونظم حبات العقد لا يكون من غير مراعاة أحوال هذه الحبّات وإنما تراعى أحجامها وأشكالها ويتخيّر لها موضعها وهذا هو الذي يجعل عقداً أفضل من عقد ونظماً أفضل من نظم» (محمد أبوموسى، ٢٠١٠: ٤٢).

أما هذا المصطلح وفكرته فكانت شائعا منذ القرن الثاني الهجري وتناوله العلماء إمّا في عدم كونه مقصوراً على حركات الإعراب فتعدّى إلى تأليف الكلمات وارتباط الجمل وإمّا في تناولهم قضية اللفظ والمعنى التي توصل بها إلى إعجاز القرآن الكريم، فتوسّعت هذه الفكرة عند هؤلاء وسارت مسير التكامل خطوة خطوة حتى وصل الأمر إلى الجرجاني وهو كعالم ذكيّ استثمر جهود سابقيه لبناء صرح نظريته، من تلك الجهود، الجهود النحوية لسيبويه التي كانت تدور حول تبيين مظاهر نظم الكلام منها الحذف والتقديم والتأخير و... وجهود الجاحظ حول علم الشعر وكيفية التذوق النقدي وجهود علماء الإعجاز مثل الباقلاني والرماني والخطابي والقاضي عبدالجبار حول الإعجاز الأدبي للقرآن وقولهم بكون النظم كدليل له.

فالسابقون على الجرجاني من النحويين والأدباء وعلماء الإعجاز عند تعريف مصطلح النظم كانوا يستخدمونه مرادفاً لمصطلحات التأليف والضم والتعليق ولكن تعريفات هؤلاء العلماء لهذا المصطلح ما كانت تعاريف موضوعية مدوّنة بل تنحصر في دائرة الذوق لا تؤدّي بإنتاج نظرية علمية. بعبارة أخرى النظم قبل عبدالقاهر لم يكن مقصوداً عن عمد أو مدروساً بطريقة مباشرة وإنما هو شيء عفوي نابع من ملاحظات العلماء حين يأخذون بجمال الشعر أو الإعجاز في القرآن الكريم في داخل هذا النطاق فحسب. فعبد القاهر يعترف صراحة بأن العلماء قد سبقوه إلى التنويه بالنظم وعلوّ شأنه حين يقول: «و قد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم وتفخيم قدره والتنويه بذكره وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٦٢) ولكن هذا لا يعني أنه قلّد العلماء السابقين تقليداً محضاً بل إنّه انتفع بآرائهم فخلق من إشاراتهم علما جديدا ونظرية غضّة ثارت على بعض النقاط المطروحة في تلك الآراء حول جودة التعبير في النصوص خصوصا النص القرآني. بعبارة أخرى هناك مفهوم أو فكرة بُدّلت إلى النظرية، النظرية التي يكون الجرجاني بنفسه واضعها الأول والأخير لا يشترك معه أي شخص ما. عبدالقادر حسين (١٩٩٨) يؤيد هذا الرأي حينما يقول: «فلم يكن النظم قبله [الجرجاني] يرقى إلى مستوى النظرية ولم يكن محيطا بألوان البلاغة كافة ولم يشمل جميع التعبيرات وإنما كان نتفا مفرّقة هنا وهناك لا يجمعها رابط» (عبدالقادر، ١٩٩٨: ٣٧٩). أما هذه النظرية فلابدّ أن ينتهج صاحبها منهجاً علمياً معينا كما عليه أن يراعي فيها بعض الشروط الخاصة. فما هو هذا المنهج وما هي تلك الشروط؟

٢. المنهج العلمي ومراحله عند كارل بوبر

لقد نوّه ديكارت بأهمية المنهج وضرورته. فلا يكفي أن يكون لدينا عقل سليم بل ينبغي أن نستخدمه استخداماً سليماً وإذا كان ثمة اختلاف بين الناس في مستوى الذكاء فلا يرجع إلى تفاوت في ملكاتهم الطبيعية وإنما إلى اختلاف المناهج التي ينبغونها (الشنيطي، ١٩٦٩: ١٦٥). بالنسبة للعلوم أيضا فهي لا تأخذ مصداقيتها إلاّ من مناهجها وعلم اللغة واحد من تلك العلوم الذي لم يتعدد مذهباً ونظرية ومدرسة إلاّ لأنّه تعدّد منهجاً؛ لكن ما معنى المنهج والمنهج العلمي؟

المنهج بوجه عام هو «وسيلة محدّدة توصِل إلى غاية معيّنة» (وهبة والآخر، ١٩٨٤: ٣٩٣) أو أنه «إجراء يستخدم في بلوغ غاية محدّدة... أساليب معروفة لنا تستخدم في عملية تحصيل المعرفة الخاصة بموضوع معين» (رونز، لا تا؛ نقلاً عن محمد قاسم، ١٩٩٩: ٥٢). إذا انتسبت هذه الكلمة بساحة العلم وشكلت مصطلح **المنهج العلمي** تعنى «تحليل منسّق وتنظيم للمبادئ والعمليات العقلية والتجريبية التي توجه بالضرورة البحث العلمي أو ما تؤلّفه بنية العلوم الخاصة» (*المصدر نفسه*) أو«خطة منظّمة لعدّة عمليات ذهنية أو حسّية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها» (وهبة والآخر، ١٩٨٤: ٣٩٣) فتُحصل تلك الغاية المأتي بها في تعريف المنهج وهي الإيصال إلى العلم والمعرفة.

أما بالنسبة لبوبر (١٩٠٢-١٩٩٤) وشخصيته العلمية فهو يعدّ المفرد العَلَم في فلسفة العلم ونظرية المنهج العلمي وأصول التفكير العلمي وتكون فلسفته -وهي فلسفة العقلانية النقدية- من أهم اتجاهات الفلسفة المعاصرة المشكلة لمعالم الفكر الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين ومطالع القرن الحادي والعشرين. (طريف الخولي، ٢٠٠٣: ١٠). المنهج العلمي قبل بوبر كان يتأثر من آراء المدرسة الوضعية -وهي مدرسة فلسفية تجريبية سائدة آنذاك- إذ يشتمل المراحل التالية: الملاحظة والتجربة، التعميم الاستقرائي، الفرضية، إثبات صحّة الفرضية أو عدم صحتها، الوصول إلى العلم والمعرفة (موسوي، ١٣٨٨: ١٠٥). ولكن بوبر برؤيته العقلانية النقدية سار خلاف هذا المسير ووضع عنصر الملاحظة في نهاية الطريق كوسيلة لإبطال نظرية وردّها. فهو يعرّف المنهج العلمي ويتكلّم عن رؤيته بالنسبة له حيث يقول: «يمكن أن تلخّص رؤيتي حول المنهج العلمي في هذا البيان أنه تتشكل من ثلاث خطوات: الأولى: نواجه مشكلة؛ الثانية: نسعى لحلّ تلك المشكلة بعرض نظرية؛ الثالثة: نتعلّم من أخطائنا... أو [يمكن أن تلخّص] في ثلاث كلمات: المسائل، والنظريات، والاختبار أو النقد. أنا أعتقد بإمكان تلخيص الطريقة العقلانية للعلم في الكلمات الثلاث هذه» (پوپر، ١٣٨٤: ٢٠٧). هو في هذه العبارة يقسّم مراحل المنهج العلمي بصورة كلية ودون النظر إلى علم خاص، إلى

ثلاث مراحل: مواجهة المشكلة، إبداع النظرية والنقد أو الاختبار والتقييم فنعالج كيفية تشكيل كلّ من هذه المراحل خطوة خطوة عند العلماء وأصحاب الفكر خصوصاً الجرجاني.

القسم التطبيقي: مراحل المنهج العلمي عند الجرجاني

١. مرحلة مواجهة المشكلة

قد تكرّرت معاني "اللبس والاختلاط والالتباس"بمرّات متعدّدة لكلمة "المشكلة" في المعاجم اللغوية القديمة والحديثة. فإذا طُبّقت هذه المعاني على ساحة العلم ومتعلقاتها يمكن أن يقال أن البحّاث والعلماء بعد الفحص والبحث في الكتب والمباحث العلمية المطروحة في مجالهم العلمي تلتبس عليهم الأمور وتختلط فيرون أنفسهم أمام بعض تساؤلات وبعض صعوبات في الطريق فيقومون بحلّ المشكلة. لهذا يمكن أن تعرف المشكلة اصطلاحياً «بأنّها الشعور أو الاحساس بوجود صعوبة لابد من تخطّيها لتحقيق هدف ما كما تعرف بأنّها الأمر الصعب والملتبس الذي يمكن أن نجد له حلّاً» (دياب، ٢٠٠٣: ٣١). فالعالم الخلّاق يتلّمذ لسائر علماء عصره وينكبّ على الكتب العلمية ويدرسها دراسة معمّقة في مجاله العلمي الخاص به فتتشكل له ذهنية علمية مطلوبة، ولكن عندما لا تقدر هذه الذهنية على أن تفسّر الظواهر وتحلّلها وينشأ التعارض والتناقض بينها وبين الواقع يواجه بمسألة أو مشكلة. فعلى هذا الأساس هناك شرطان رئيسان لطرح المشكلة أو المسألة عند العالم يكمل أحدهما الآخر وإن لم يكن واحد منهما لا تطرح مشكلة أبداً وهذان الشرطان هما: ١. التعلّم المناسب والذهنية المطلوبة و٢. التخيّل الخلّاق (نبوي، ١٣٨٤: ٢٠٦).

والجرجاني أيضاً يندرج ضمن هؤلاء العلماء؛ فهو ما تلمّذ لأحدٍ إلا أبي الحسين الفارسي (الحموي، لا تا: ١٨٧/١٨) ولكن تلمّذ للكتب العلمية لعلماء عصره وما قبل ذلك [كسيبويه والجاحظ وابن قتيبة وقدامة بن جعفر والآمدي وأبي علي الفارسي والقاضي الجرجاني وأبي هلال العسكري] تلمّذاً وافياً كافياً (أحمد بدوي، لا تا: ٧) فحصل على المعلومات الوفيرة والذهنية المطلوبة في مجالاته المدروسة لا سيما مجال النظر في فصاحة الكلام خصوصا كلام الله وهو القرآن. فهو مزج هذه الذهنية بتخيّله الخلّاق وعبقريته الوهّاجة حتى وصل إلى التناقض وواجه مسائل ومشاكل في مسير تناوله لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن بصورة خاصة وقضية جودة التعبير اللغوي والنظم والفصاحة بصورة عامة. لذلك هو استهلّ كتابه دلائل الإعجاز بطرح مسألته المحورية وإشكاليته الأساسية وهي غياب مفهوم واضح لجودة التعبير اللغوي ويوضّح ذلك كما يلي:

«ألا إنّك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ومُني من الحيف بما مني به ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة وظنون رديّة وركبهم

فيه جهل عظيم وخطأ فاحش، ترى كثيراً منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين وما يجده للخطّ والعقد؛ يقول: إنما هو خبر واستخبار وأمر ونهي...» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٦).

فالجرجاني في مواضع أخرى من كتابه أيضاً يقدّم عدم رضاه عن تبيين سابقيه معالم الفصاحة والنظم حيث يقول: «واعلم أنك لا ترى في الدنيا علماً قد جرى الأمر فيه بديئاً وأخيراً على ما جرى عليه في علم الفصاحة والبيان. أما البديء فهو أنّك لا ترى نوعاً من أنواع العلوم إلّا وإذا تأمّلت كلام الأولين الذين علّموا الناس، وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة والتصريح أغلب من التلويح. والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا. فإنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جلّه أو كلّه رمزاً ووحياً وكناية وتعريضاً وإيماء إلى الغرض من وجه لا يفطن له إلا من غلغل الفكر... وأمّا الأخير، فهو أنّا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاماً للأولين ويتدارسوه ويكلّم به بعضهم بعضاً من غير أن يعرفوا له معنى ويقفوا منه على غرض صحيح ويكون عندهم إن يُسألوا عنه، بيانٌ له وتفسير إلا علم الفصاحة، فإنّك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظاً للقدماء وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً، أو يستطيعوا إن يسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيراً يصحّ» (*المصدر نفسه:* ٤٥٥-٤٥٦).

وعبدالقاهر هنا يعتقد بأن العلماء قد ظلموا على علم الفصاحة في المرحلتين وهما مرحلتا التعريف والتبيين إذ ما راعوا في المرحلة الأولى الوضوح والصراحة وفي المرحلة الثانية التفسير الصحيح والتبيين العميق لجوانب هذا العلم (علم الفصاحة). على هذا الأساس قد طُرحت مسألة عند الجرجاني لا يجد لها حلّاً في إطار الآراء والمفاهيم الموجودة فلابدّ منه أن يدوّن فرضية جديدة يبني عليها نظرية بديعة وعلماً جديداً.

٢. مرحلة إبداع النظرية

النظرية هي «تلك الفروض الذهنية أو العقلية التي يقدّمها العلماء في استنباطهم للأنظمة التي يدرسونها...أو هي مجموعة من الفروض متماسكة بشكل كبير أو قليل يراد به شرح مدى الظواهر» (عبدالدايم، ٢٠٠٦: ١٧) تتفّق كل المعاجم اللغوية القديمة والحديثة على مفهوم مشترك في تعريف النظرية وهو الاعتماد على التفكر والتعقل، التفكر الذي قد يتحصل بعد مواجهة الباحث والعالم مشكلة فتحدو به إلى إبداع نظرية. فالجرجاني في عبارة من كتابه قد أشار إلى مبدأ الروية والفكر وكونه أساساً لكل علم جديد ونظرية بديعة: «لا يعلم أن هاهنا دقائق وأسرار طريق العلم بها **الرؤية والفكر**، ولطائف مستقاها **العقل** وأنّها السبب في أن عرضت المزية في الكلام ووجب أن يفضل بعضه بعضاً وأن يبعد الشأو في ذلك وتمتدّ الغاية ويعلو المرتقى ويعزّ المطلب حتى ينتهي الأمر إلى الإعجاز بل ويخرج عن طوق البشر» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٧).

ويوضّح عبدالقاهر أنّ تلك الدقائق والأسرار المعتمدة على الرويّة والمتسبّبة في أمر المزيّة ليست سوى مزايا النظم في الكلام خصوصاً كلام القرآن: «فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبّرونا عنهم، عمّا ذا عجزوا؟... فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر... وبهرهم أنّهم تأملوه سورة سورة وعُشراً عُشراً وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور» (*المصدر نفسه*: ٣٩).

فيكشف عبدالقاهر أنّه بصدد تقديم علم جديد ذي فوائد جليلة ومعان شريفة وله أثر عظيم في الدين (*المصدر نفسه*: ٤١) ولكن هذا العلم يصعب على الإنسان التوصل إليه والذين سبقوا على الجرجاني في بيان معالمه أنكروا التوصل إلى معرفته وحسبوه غير قابل للشرح. فأقصى ما وصل إليه السابقون هو الشعور والاحساس العام بحسن النظم دون إثبات عقلي لذلك ودون تبيينه وإقامة البرهان عليه: «وينبغي أن نأخذ الآن أمر المزية وبيان الجهات التي منها تعرض، وإنه لمرام صعب ومطلب عسير ولولا أنّه على ذلك لما وجدت الناس بين منكرٍ له من أصله ومتحيّلٍ له على غير وجهه ومعتقدٍ أنّه باب لا تقوى عليه العبارة ولا يُملَك فيه إلا الإشارة وأنّ طريق التعليم إليه مسدود وباب التفهيم دونه مغلق... وأن ليس للواصف لها إلا أن يلوّح ويشير أو يضرب مثلاً ينبئ عن حسن قد عرفه على الجملة وفضيلة قد أحسّها من غير أن يتبع ذلك بياناً ويقيم عليه برهاناً ويذكر له علّة ويورد فيه حجّة» (*المصدر نفسه*: ٦٤-٦٥).

فهذه خطوة أولى لعبدالقاهر في إبداع نظريته وهي وضع نفسه «في مواجهة طموح مع موضوع صعب لم يتمكن السابقين عليه من أساطين علم اللغة من سبر أغواره وهو طرح نظرية عقلية خالصة للنظم» (أبوزيد، ٢٠٠٧: ١٢). لكن هل يمكن أن يطلق على هذا العلم الجديد اسم النظرية؟ هل أُجريت شروط النظرية العلمية الحديثة على نظرية الجرجاني؟

شروط النظرية العلمية وإجراءاتها عند الجرجاني

أورد العالم الفيزيائي ستيفن هوكنج[1] في كتابه تعريفًا يمثل صدى لأفكار بوبر مؤداه أن أي نظرية هي نظرية جيدة إذا ما لبّت شرطين: الأول، أن تصف بدقة مجموعة هائلة من المشاهدات وذلك على أساس نموذج يتضمن أقلّ

1- Stephen Hawking

قدر ممكن من العناصر العشوائية، والثاني، هو أن تضع تنبؤات حاسمة عن نتائج المشاهدات المستقبلية (هوكنج، لا تا: ٢١). ربما تلخيص هذين الشرطين للنظرية في كفايتها الملاحظية[١] وقدرتها على التنبؤ[٢] بالظواهر المستقبلية[٣]. وفي مكان آخر يشترط على النظرية العلمية، توفّر الشروط الأربعة التالية وهي: ١. الخضوع بنجاح لاختبارات علمية دقيقة ولمرّات عديدة؛ ٢. القدرة على التنبؤ والتفسير؛ ٣. الاتساق[٤]؛ ٤. شحة التفاصيل وشحة التأويل[٥] (عثمان، ٢٠١٥).

هناك أقوال مختلفة للنظرية اللغوية أيضاً فيقرّر لغوي أنّ شروط النظرية اللغوية تتمثل في أنّها «تجمع الحدّ الأقصى من الاتساق العام والاقتصاد والاكتمال» (تراجر، ١٩٤٩؛ نقلاً عن عبدالدايم، ٢٠٠٦: ٢٢-٢٣). ويقول باحث آخر بأن تمثّل شروط النظرية في «العموم والتجريد والاكتمال والبساطة والاقتصاد والاتساق العام والكفاية في وصف اللغات وصلاحيتها للتطبيق على أكبر قطاع من اللغات» (*المصدر نفسه*: ٢٢).

أمّا بالنسبة لنظرية الجرجاني ومدى تطبيق هذه الشروط عليها فيمكن القول بأنّ بعض هذه الشروط قابلة للتطبيق على نظرية الجرجاني مثل التجريد والتعميم (الشمولية) والكفاية بمستوياتها والاتساق والتنبؤ وبعضها الآخر لا يمكن تطبيقها مثل الاقتصاد والبساطة. على هذا الأساس نحن نختار هنا شرطي "الكفاية ومستوياتها" و"التنبؤ" ونترك الشروط الأخرى بسبب عدم كون بعضها قابلة للتطبيق على نظرية الجرجاني وكون البعض الآخر مطروحة في ثنايا البحث حول الكفاية والتنبّؤ.

أ) الكفاية ومستوياتها عند الجرجاني

يرجع جزء كبير من الاختلاف بين بعض المدارس اللغوية المعاصرة على الأقل إلى اختلافهم في قدر الكفاية الذي ينبغي أن يتحقق في البحث العلمي. ويتحدث علماء اللغة عادة عن ثلاثة أنواع من الكفاية هي الكفاية

1- Observational adequacy

2- Prediction

٣- يجب علينا أن نشير إلى هذه القضية بأن «القدرة على التنبؤ بالظواهر هي من سمات العلوم الطبيعية أكثر من الإنسانية ويندر في العلوم الإنسانية القدرة على التنبؤ. لذلك في العلوم الإنسانية، النظرية الجيّدة تلك التي تمتلك قدرة تفسيرية عالية» (أبوزيد: ٢٠١٦). لهذا بما أنّ نظرية الجرجاني هي نظرية منتسبة إلى حقل العلوم الإنسانية فأفضل أن نعدّل في هذا المقال أقوالنا حول القدرة على التنبؤ ونبدّلها إلى مصطلحات متعلّقة بساحة العلوم الإنسانية تعني "القدرة على التنبؤ وتفسير تعبيرات لغوية مستقبلية لم تستخدم حتى الآن".

4- Consistency

5- Parsimonious

الملاحظية والكفاية الوصفية[1] والكفاية التفسيرية[2]. فبينما تكتفي بعض المدارس اللغوية بالكفايتين الأولى والثانية، تصرّ الأخرى على أهمية الكفاية التفسيرية (يونس علي، ٢٠٠٣: ١٣٠). ويتفق اللغويون على أنّ الكفاية الملاحظية شرط أساسي في البحث اللغوي وأنّها المنطلق المبدئي لاستكشاف الظاهرة اللغوية إمّا بملاحظة عناصرها المادية وإمّا بملاحظة عناصرها غير الماديّة وهي المعرفة اللغوية للمتحدث السليقي (العلوي كمال، ٢٠١٤: ٢٧). أما الملاحظة فلا تكفي بوحدها للحصول على النظرية، فهناك يجب أيضاً أن توصف الظاهرة اللغوية وصفاً شاملاً إضافة على ملاحظتها الشاملة، فالشمولية هنا إمّا في الملاحظة وإمّا في الوصف تقتضي عدم إهمال أيّة سمة من سمات الظاهرة المدروسة (يونس علي، ٢٠٠٤: ٤٧-٤٨) ولكن يجدر بالذكر أنّ مدى الشمولية في الوصف أكثر من مداها بالنسبة للملاحظة لأنّ الوصف يستلزم ضرباً من التجريد لهذا يتجه اللغوي في الكفاية الوصفية نحو الحقيقة اللغوية وتوصيفها لا المادّة اللغوية (العلوي، ٢٠١٤: ٢٩-٣٠).

هذا بالنسبة لمستويي الوصف والملاحظة للكفاية، ولكن بعض اللغويين الذين يعتنون بفكرة العموميات[3] لايكتفون بهما فيتجاوزون إلى مستوى أشد تجريداً ويرون أنّه أهم المستويات الثلاثة وليس هذا المستوى إلا مستوى الكفاية التفسيرية الذي يخوض في تأويل الظاهرة اللغوية وتفسيرها حتى يصل الأمر إلى صوغ قواعد عالمية تنطبق على جميع اللغات.

يبدو لنا أنّ الجرجاني قد استخدم هذه المستويات الثلاثة للكفاية مضيفاً إليها شرط التنبؤ حيثما يلاحظ الوقائع اللغوية بعد المواجهة بالمشكلة في بداية الأمر ويصفها ويستقريها ويطرح فرضياته على أساسها فيختبر تلك الفرضيات بشكل دقيق ويفسّر الوقائع بواسطتها فيصل إلى قانونه العلمي أو نظريته لكي يستخدمها للتنبؤ بالظواهر أو تفسير تعبيرات لغوية مستقبلية.

وتلك الوقائع اللغوية الجزئية عند الجرجاني كانت كلام الله وكلام العرب وأشعارهم التي لاحظها كاستخدامات معيّنة للغة ونوع معين من أساليب النظم مثل التقديم والتأخير بصفتها وقائع جزئية تصلح لاستنتاج القاعدة العامّة في التقديم والتأخير. فالاستقراء الذي يعرّف بـ «استنتاج القانون العام للظاهرة بناء على ملاحظة الواقع» (أبوزيد، ٢٠٠٩: ٢٢٥) ويحسب كمؤشرة في تعيين مدى الكفاية الوصفية وحتّى التفسيرية في الوقائع، يظهر

1- Descriptive adequacy
2- Explanatory adequacy
3- Universals

عند عبدالقاهر بصورة جليّة حيثما يقول: «وصحّ أن لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الأمور والوقوف عليها والإحاطة بها وأنّ الجهة التي منها يقف والسبب الذي به يعرف استقراء كلام العرب وتتبّع أشعارهم والنظر فيها» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٤٠-٤١).

يؤكد هذا النص على أهمية الملاحظة وبعدها استقراء الوقائع اللغوية عند الجرجاني. وهو في جانب فروضه الأولى التي وصل إليها بعد العكوف على آراء العلماء وكتبهم، وبعد مواجهة المشكلة ذهب نحو استقراء كلام العرب واستنتج من خلال تكرار الوقائع في أحوال معينة لذلك الكلام فروضاً تثبت أن هذه الحالات بمثابة قانون عام. وهو يعبّر عن استخدامه لمفهوم الاستقراء عند تطبيق النظرية في مواضع عديدة منها باب القصر والاختصاص عند مجيء إنما للتعريض بأمر هو مقتضى الكلام: «ثم اعلم أنّك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو أنّا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى ﴿**إنّما يتذكر أولوا الألباب**﴾ أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذمّ الكفّار» (*المصدر نفسه:* ٣٥٤).

ويتبيّن وضوح مفهوم الاستقراء عند عبدالقاهر من بيانه أنّ الهدف من بحث التفاصيل هو التوصل إلى القوانين العامة. «فالتطبيقات الجزئية معروفة على الجملة من خلال الذائقة اللغوية ولكن من الضروري معرفة القوانين العامّة التي تحكمها وأنّ هذه القوانين تؤدّي إلى علم اليقين غير الموهوم» (أبوزيد، ٢٠٠٩: ٢٣٧) فتأمّلوا هذا النص: «واعلم أنّ هذه الأمور التي قصدت البحث عنها أمور كأنّها معروفة مجهولة وذلك أنّها معروفة على الجملة... ومجهولة من حيث لم يتفق فيها أوضاع تجري مجرى القوانين التي يرجع إليها، فنستخرج منها العلل في حسن ما استحسن وقبح ما استقبح حتى تعلم علم اليقين غير الموهوم» (الجرجاني، ١٩٩١: ٢٦٠).

فعبد القاهر باستخدامه هذا النوع من الاستقراء الكيفي الذي يعتمد بشكل أساسي على الفهم الإنساني وبعرضه أمثلة تفصيلية كثيرة من القرآن والشعر والنثر يصل إلى مدى من الكفاية الوصفية لتوصيف الظاهرة اللغوية ويوضح أنّ المعرفة التفصيلية المرتبطة باستنتاج القوانين لها أهميّة كبيرة فيقول: «اعلم أنّ معرفة الشيء من طريق الجملة غير معرفته من طريق التفصيل. فنحن وإن كنّا لا يشكل علينا الفرق بين التشبيه الغريب وغير الغريب إذا سمعنا بهما، فإنّ لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء وتهيئة العبارة في الفروق فائدة لا ينكرها المميز ولا يخفى أنّ ذلك أتمّ للغرض وأشفى للنفس» (*المصدر نفسه*: ١٥٧). فعبدالقاهر بعد ذكر هذه القضية يفصّل القول في غرابة التشبيه والتمثيل بذكر شواهد وأمثلة تفصيلية كثيرة من الأبيات الشعرية وهذا يدلّ على المستوى الأعلى من الكفاية الوصفية عنده. يمكن أن يقال أنّ عبدالقاهر قد أخذ على سابقيه عدم كفاية

آرائهم في مرحلة التوصيف وكونها آراء عامة مجملة غير تفصيلية وهي كالرمز والإيماء والإشارة، فطالب صاحب تلك الآراء بوضوح مفهومهم للنظم وهو لا يحصل إلا بمراعاة الكفاية الوصفية وأصولها:

«وإذا كان هذا هكذا، علمت أنّه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياساً ما وأن تصفها وصفاً مجملاً وتقول فيها قولاً مرسلاً بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصّل القول وتحصّل وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم وتعدّها واحدة واحدة وتسمّيها شيئاً شيئاً وتكون معرفتك معرفة الصنّع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الديباج وكلّ قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع وكلّ آجرّة من الآجرّ الذي في البناء البديع» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٣٧) فهذا التفصيل للخصائص المعروضة في نظم الكلام يفضي بنظرية عبدالقاهر إلى الاكتمال وهو شرط من شروط النظرية كما مرّ سابقاً.

أمّا عبدالقاهر فلا يكتفي بعرض أمثلة تفصيلية فقط بل يروم فكرة الوصول إلى صياغة القواعد العامة التي تصل إلى المستوى العالمية أيضاً وتنطبق على جميع اللغات بخوضه في تسويغ الظاهرة وتفسيرها وهذا يعني وصول نظرية عبدالقاهر اللغوية إلى مستوى الكفاية التفسيرية.فمن الأسباب التي تفضي بنا إلى القول بقابلية تطبيق نظرية عبدالقاهر على كل اللغات اعتقاده بأسبقية المعاني على الألفاظ منطقياً.على أساس وجهة نظر الجرجاني ما يُنتج النظم هو ترتيب المعاني وتشكيلها عند المتكلم والمعاني مشتركة في كل اللغات بينما الألفاظ تكون مفترقة: «والنظم والترتيب في الكلام كما بيّنا عمل يعمله مؤلّف الكلام في معاني الكلام لا في ألفاظها، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخّى فيها ترتيباً يحدث عنه ضروب من النقش والوشي» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٣٩٥). هو يوضّح بعد ذلك أنّ النظم لا يختصّ بلغة خاصة لأنّه يرتبط بأمر المعاني لا الألفاظ: «اعلم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضاع لغة ولكن من حيث توخّي فيها النظم الذي بيّنا أنّه عبارة عن توخّي معاني النحو في معاني الكلم» (*المصدر نفسه*: ٣٦٢).

والدليل الآخر والأخير هنا في اتسام نظرية عبدالقاهر بسمة العالمية ووصولها إلى مستوى الكفاية التفسيرية هو تقريره بأنّ القول بأن تركيب الكلام من الاسمين أو الاسم والفعل يختص بلغة العرب فقط هو قول فاسد وهذا بعد ذكره أمثلة تفصيلية كثيرة للاستعارة: مفيدها وغيرمفيدها (الجرجاني، ١٩٩١: ٢٩-٣٤).

فملخّص القول هو أنّ مفهوم العمومية وعالمية ظاهرة اللغة الذي ينتج من مستوى الكفاية التفسيرية كان مفهوما جوهرياً في نظرية عبدالقاهر وهو ما يؤدي بشكل مباشر إلى أن تكون هذه النظرية، نظرية عالمية تخصّ الانسان بما هو إنسان ولا ترتبط بلغة معينة (أبوزيد، ٢٠٠٧: ٢٩).

ب) القدرة على التنبؤ[1]

بعد أن ذهب عبدالقاهر من الكل إلى الجزء ومن الجزء إلى الكل وتنقّل بينهما بمرات عديدة لتبيين نظريته أو بعبارة أخرى بعد استثماره الاستقراء والاستنباط للوصول إلى القواعد العامة في كل باب من أبواب كتابه وفي كل جزء من أجزاء نظريته كالفصل والوصل مثلاً: «وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أنّ الجمل على ثلاثة أضرب...» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٢٤٣).

بعد ذلك يبيّن مبدأ أساسياً وهو شمولية القوانين العلمية لكل القضايا المتماثلة وتطبيقها في كل الأحوال لا الأحوال الخاصة فقط. على سبيل المثال يثبت الجرجاني شمولية القوانين المستنتجة في باب التقديم والتأخير وإمكان إجرائها في المباحث الأخرى لهذا الباب: «واعلم أن من الخطأ أن يقسّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض وأن يعلّل تارة بالعناية وأخرى بأنّه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطّرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه. ذاك لأنّ من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدلّ تارة ولا يدلّ أخرى. فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنّه قد اختصّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلّ حال» (*المصدر نفسه:* ١١٠).

فهذه الشمولية والتعميم الذي يعدّ من إحدى شروط النظرية أيضاً يؤدي بقدرة ذلك القانون وتلك النظرية إلى تفسير تعبيرات لغوية مستقبلية [لم تستخدم حتى الآن] وتطبيق القواعد المندرجة تحتها لشرح مواطن الجودة والضعف في أمثلة أخرى من الكلام الشعري وغير الشعري عربياً وغير عربياً.

من الدلائل الأخرى التي نستطيع أن نستشف منها إثبات وجود قدرة التنبؤ في نظرية عبدالقاهر هي استخدامه مفهوم السببية[2] الذي يعادل مفهوم الحتمية في العلم المعاصر (أبوزيد، ٢٠٠٧: ٢٠). فمفهوم الحتمية العلمية يدور في الحقيقة حول العلوم الطبيعية ولكننا نستطيع أن نستخدمها بصورة معدّلة في العلوم الإنسانية. فنستبدلها بمصطلح السببية التي تنتج التنبؤات والتفسيرات للظواهر المستقبلية. فعبدالقاهر يبيّن وجود قانون السببية إمّا في منهجه وإماّ في التطبيقات الموجودة في نظريته. على سبيل المثال هو يستفيد من قانون السببية في طريق معرفة مزية الكلام على الكلام الآخر عندما يعتقد بكون الآفة العظمى في ترك البحث عن العلة التي توجب المزية في الكلام: «واعلم أنّ هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب، فإن من الآفة أيضاً من

1- Redictability

2- Causality

زعم أنّه لا سبيل إلى معرفة العلّة في قليل ما تعرف المزية في وكثيره، وأن ليس إلا أن تعلم أنّ هذا التقديم وهذا التنكير أو هذا العطف أو هذا الفصل وأن له موقعاً من النفس وحظّاً من القبول، فأما أن تعلم لم كان كذلك؟ وما السبب؟ فممّا لا سبيل إليه ولا مطمع في الاطّلاع عليه، فهو بتوانيه والكسل فيه، في حكم من قال ذلك» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٢٩١-٢٩٢).

فعبدالقاهر في مكان آخر من كتابه يشير إلى إجراء قاعدة السببية في علاقة الكلمات بعضها ببعض ويعرّف إنشاء العلاقات السببية والعلية بين الكلمات كمبنى أساس لنظرية النظم: «معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض» (*المصدر نفسه*: ٤).

وهو يستخدم مفهوم السببية الضرورية في التطبيق كما يلي: «وإذ قد رأيت الجمل الواقعة حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر، فلابدّ من أن يكون ذلك إنّما كان من أجل عللٍ توجبه وأسباب تقتضيه، فمحال أن يكون هاهنا جملة لا تصلح إلا مع الواو وأخرى لا تصلح فيها الواو وثالثة تصلح أن تجيء فيها بالواو وأن تدعها فلا تجيء بها، ثم لا يكون لذلك سبب وعلّة وفي الوقوف على العلّة في ذلك إشكال وغموض ذاك لأنّ الطريق إليه غير مسلوك والجهة التي منها تُعرف غير معروفة» (*المصدر نفسه*: ٢١٢). وهذا يعني أنّ عدم معرفتنا بسبب الأمور لايؤدي بنا إلى اللجوء إلى مفاهيم وهمية أو إنكار وجود العلّة لأنّ عدم المعرفة هذا يردّ إلى قصور العلم حالياً ويمكن أن يعرف السبب في المستقبل وهو ما يتّفق مع مفهوم الحتمية العلمية بالمعنى المعاصر (أبوزيد، ٢٠٠٧: ٢١).

على أي حال إجراء هذه السببية في مرحلتي النظر والتطبيق عند الجرجاني يفضي بقدرة نظريته إلى التنبؤ بالظواهر اللغوية المستقبلية وتفسير التعبيرات التي لم تستخدم حتى الآن، التعبيرات التي تكون حسب رأيه لانهائية: «وإذ قد عرفت أنّ مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا نجد لها ازدياداً بعدها» (الجرجاني، ١٩٨٤: ٨٧). وترجع إلى حسن تخيّر المتكلم من بين خيارات متعدّدة لانهائية «واعلم أنا لم نوجب المزيّة من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنستند إلى اللغة ولكنّا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يُصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن "الواو" للجمع و"الفاء" للتعقيب بغير تراخٍ و"ثم" له بشرط التراخي و"إن" لكذا و"إذا" لكذا، ولكن لأن يتأتّى لك إذا نظمت شعراً وألّفت رسالة أن تحسن التخيّر وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه» (*المصدر نفسه*: ٢٤٩-٢٥٠).

٣. مرحلة الاختبار والنقد

ربما تعدّ هذه المرحلة من أهم مراحل المنهج العلمي وتعرّف بطريقة تحقّق النظريات والفرضيات المندرجة تحتها (نبوي، ١٣٨٤: ٢١٠). بعد أن حصل العالم على حقيقة ما في ذهنه وأبدع نظرية علمية في حقله العلمي حاول أن يختبر فرضياته المطروحة ويعلّل للآخرين ما وجد من الإبداعات وإنجازاته العلمية. أما يمكن أن يُنظر إلى هذه المرحلة بمنظارين: أحدهما من منظار العالم بنفسه وثانيهما من منظار الآخرين حيثما ينظر العالم إلى إنجازاته التي قد طرحها بصورة فرضية ويسعى في طريق إثباتها واختبارها من جانب ومن جانب آخر ينظر الآخرين إلى ثمرة جهود ذلك العالم وينقدها ويقيّمها. ربّما نقول بأنّ العلم يتكامل وينمي عن طريق الإبداع الفردي والانضباط الجمعي وعلاقتهما المتبادلة بينهما بعبارة أخرى كما لا يمكن غضّ النظر عن الإبداع الفردي في العلم والبحث العلمي، لا يمكن أيضاً غض النظر عن الانضباط الجمعي واختبار الجمهور (*المصدر نفسه*).

بالنسبة لعبدالقاهر الجرجاني واختباره فروضه المطروحة وحكم الآخرين على نظريته فهو قد نجح في مرحلة الاختبار أيضاً عندما جاءت بشواهد كثيرة شعرية وغير شعرية لاختبار فروضه ولكن الآخرين الآتين بعد عبدالقاهر ما استطاعوا أن يقيّموا نظريته تقييماً وافياً ويضيفوا إليها شيئاً ذا بال. نعم يمكن أن يُقال بأنّ أمثال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) والفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) والسكاكي (ت٦٢٦) والقزويني (ت٦٨٦) قد تأثّروا بنظرية عبدالقاهر وكتبوا في امتدادها آثار بلاغية مفيدة ولكن هذا التأثر ما انتهى إلى النقد والإضافات بل أدّى بعض الأحيان إلى التعقيد والتقنين المنطقي. فالآتون بعد عبدالقاهر ما اتّجهوا نحو نقد نظرية عبدالقاهر واختباره اختباراً يضيف إلى العلم شيئاً جديداً بل لخّص كل آرائهم في النقل والتبويب والتنظيم وإن وجدنا بعض الأحيان في ثنايا كتبهم التنويه بعمل عبدالقاهر وببراعته في استنباط أصول علم البلاغة وتطبيقهم نظريته في إثبات النظم القرآني. يمكن أن يرجع هذا الأمر إلى انحسار الإبداع الفكري لا في علوم البلاغة فقط وإنّما في الحضارة الإسلامية عموماً حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حيث بدأت بواكير النهضة العربية الإسلامية (أبوزيد، ٢٠٠٧: ٣٨).

أمّا بالنسبة لموقف المفكرين المسلمين إزاء تقييم نظرية عبدالقاهر ونقده فهناك كثير منهم درسوا عبدالقاهر ونقدوا آراءه أدبياً ولغوياً وبلاغياً من مثل أحمد أحمد بدوي ونصر حامد أبوزيد وعبدالقادر حسين وأمين الخولي وعبدالعزيز حمودة ومحمد زكي العشماوي ومحمد مندور ومحمد أبوموسى وبدوي طبانة وطه حسين و... لكن كل هذه الأعمال الدراسية قد عبّرت عن التقدير لأعمال الجرجاني من زاوية اللغة والنقد الأدبي فقط وخلت من تحليل لمنهجه في معالجة قضية الإعجاز، الأمر الذي قد تطرّق إليه سمير أبوزيد وفسّر كيفية ظهور نظرية

النظم وأسباب تكوينه لمؤلفاته الثلاثة "الرسالة الشافية" و"الدلائل" و"الأسرار" لقضية الإعجاز اللغوي في القرآن (*المصدر نفسه*: ٤٢). فهناك كتّاب ودارسون آخرون قد حلّلوا نظرية الجرجاني وطبّقوها على النصوص الشعرية والنثرية والقرآنية وكشفوا زوايا مخفية من تلك النصوص لا نريد الآن معالجتها ولكن نأتي ببعض آرائهم النقدية لأعمال عبدالقاهر التي تدور أكثرها حول الجوانب الإيجابية لنظرية النظم وشرحها وتفسيرها غير مضيفين إليها زوايا جديدة.

يذكر أحمد جمال العمري «أنّ عبدالقاهر ينطلق في بحثه البلاغي من مقولة بارعة يمكن أن نعتبرها مقولة معاصرة وهي أنّ النص الأدبي تشكيل لغوي أو بناء لغوي في الدرجة الأولى وأنّ علينا أن ننشد أسرار جماله الفني في تحليل بنائه اللغوي الذي يرجع إليه وحده كل ما في النص الأدبي من جمال وروعة أو فساد واختلاف» (جمال العمري، ١٩٩٠: ٢٤٢). ويقول محمد أبوموسى بأن «عبدالقاهر يعلّمنا منهج العلم كلّه أو منهج المعرفة وأنّ أصل هذا المنهج هو تحليل اللغة، لغة الفكر والأدب والمعارف والعلوم كل ذلك سواء... وعبدالقاهر يقول إنّه في هذا الكتاب يعلم الناس الطريق الذي يصلون منه إلى صور المعارف والعلوم وسرائرها ومكنوناتها وأنّه إنّما شغل بتحليل اللغة لذلك أعنى ليضع في يد الأمة بكل طبقاتها منهج تحصيل العلم وتحليل المعرفة في أي باب من أبواب العلم وهذا ليس بالأمر الهيّن» (محمد أبوموسى، ٢٠١٠: ٥٢).

ويورد عبدالعزيز حمودة آراء متعدّدة حول أعمال عبدالقاهر يوجز فيها آراء أمثال محمد عابد الجابري ومحمد زكي العشماوي ومحمد مندور وأحمد مطلوب ومحمد خلف الله أحمد وكمال أبوديب في جانب آرائه نفسها (انظر: حمودة، ٢٠٠١: ٢١٣-٤١٣). على سبيل المثال يذكر رأي العشماوي الذي يقول بالتقاء وجهة نظر عبدالقاهر بوجهة نظر ناقدين حديثين إليوت وريتشاردز (*المصدر نفسه*: ٢١٧، ٢٥٦) أو يسجل حديث محمد خلف الله أحمد قائلاً: «وما يميّز أسلوب المؤلف [أي عبدالقاهر] فيهما [دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة] منهجه الواضح القائم على الاستقراء الذوقي من جهة وعلى التحليل العلمي الدقيق من جهة أخرى حتى لتكاد بحوثه فيهما تقرب في دقتها وتسلسل مراحلها من أسلوب العصر الحاضر في بحوثه العلمية» (*المصدر نفسه*: ٢٣٦). ويقول عبدالحمودة بنفسه عند تحليل نص عبدالقاهر الذي يعرّف سبيل الكلام بسبيل التصوير والصياغة: «إنّ عبدالقاهر الجرجاني هنا يضع مجموعة من المبادئ اللغوية والنقدية التي تنقله من القرن الخامس الهجري إلى قلب القرن العشرين الميلادي الذي شهد نهضة علوم اللغة من ناحية وظهور أكبر عدد من المدارس النقدية وأكثرها تعقيداً من ناحية ثانية» (*المصدر نفسه*: ٢٧٨). ويقول في مكان آخر: «إنّ الريادة الحقيقية لعبدالقاهر تتمثّل في تقديمه المبكر لمصطلح مألوف في الدراسات اللغوية في القرن العشرين وهو معنى المعنى» (*المصدر نفسه*: ٢٩٨).

كل شيء قد قيل حتى الآن، كان يدور حول اختبار الآخرين نظرية النظم ولكن بالنسبة لعبدالقاهر نفسه فهو أيضاً أجرى مرحلة الاختبار ولكن نقده واختباره كان يعدّ اختباراً داخلياً إذ يختبر فرضياته المطروحة والقواعد التي تمّ استقراؤها واستنتاجها من التطبيقات الشعرية وغير الشعرية المختلفة. ولكن قبل ذلك يجب تحديد الحدود بين ثلاثة مصطلحات وعلاقتها معاً وهي مصطلحات النظرية والفرض والقانون أو القاعدة. فهناك ارتباط وثيق بين هذه الثلاث إذ تبدأ النظرية من الفرض وتنتهي بالقانون إذا ما ثبت على جهة اليقين صحتها، فيقال: «النظرية مجموعة من الافتراضات والمبادئ المقبولة علمياً توضع لتحليل بعض الظواهر أو تفسير طبيعتها أو سلوكها... وإنّما تطرح النظرية أوّل ما تطرح على صورة فرضية أو ظنّية[1]، فإن أيّدتها الوقائع والتجارب على نحو خالٍ من الثغرات الهامّة ارتقت إلى مرتبة النظريات، أمّا إذا قام الدليل القطعي على صحّتها وتعذّر تعليل نفس تلك الظواهر بأية نظرية أخرى فعندئذ تصبح قانوناً» (البعلبكي، ١٩٨٠؛ نقلاً عن عبدالدايم، ٢٠٠٦: ٢٠١). وعبدالقاهر يراعي هذه الحدود عندما يطرح في البداية فرضياته بعد مواجهة المشكلة فيختبرها بواسطة تحليل عدد كبير من الأبيات الشعرية والآيات القرآنية المختلفة بوصفها نماذج لغوية للوصول إلى قاعدة معينة واجتماع هذه القواعد يشكل معاً نظرية النظم العلمية، النظرية التي تنتهي إلى القانون العام الذي يصدق على كل اللغات لا لغة خاصة.

يُضرَب هنا مثال واحد لبيان عملية الاختبار وهو في معرض استكمال عبدالقاهر لقواعد التقديم والتأخير في حالة "الخبر المثبت". فهو في البداية يطرح القاعدة ويشرحها **[نقطة البدء من الكل]** ثم يضرب مثالاً شعرياً لها **[الذهاب إلى الجزء بالإتيان بالأمثلة الكثيرة]** ويشرحه ثم يضرب مثالاً آخر ويشرحه ثم يحقق القاعدة في مثال آخر ثم يحققها في أمثلة أخرى شعرية ثم ينتقل من الشعر إلى آيات القرآن الكريم لتحقيق القاعدة بنفسها فيضرب مثالين من سورتي الفرقان والمائدة ويؤكد القاعدة أيضاً من خلال الاستشهاد بما ذكره سيبويه ثم يناقش تساؤلاً مفترضاً عن القاعدة بهدف تحقيقها أيضاً ويردّ على هذا التساؤل ثم يضرب مثالاً آخر من سورة الحج وكذلك سورة المؤمنون ويسترسل في شرح الميزة التي تترتب على قاعدة "تقديم الخبر" وفي التدليل عليها من اللغة العادية ومن آيات القرآن وفي النهاية يصل إلى أن القاعدة قد تحقّقت أو اختبرت**[العودة إلى الكل]** فيقرّرها كما يلي: «واعلم أن معك دستوراً له فيه، إن تأملت غنى عن كل سواه وهو أنّه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر» (الجرجاني، ١٩٨٤: ١٢٨-١٤٠).

1- Hypothesise

التأمّل في هذا النص يوضّح أنّ الجرجاني يبدأ من الحكم الكلي وهي فرضية موجودة في ذهنه [ناشئة من دراساته السابقة] فيتحرّك من هذا الحكم الكلي إلى الوقائع الجزئية وملاحظتها ودراستها لاختبار تلك الفرضية الذهنية التي قد تبدّلت إلى فرضية عينية ويختبر بمرّات كثيرة هذه الفرضية حتى يصل إلى الحكم الكلي والقاعدة العامة فيثبت النظرية والقانون.

النتائج

توصلنا من خلال المباحث المطروحة في ثنايا البحث على النتائج التالية:

١. رغم تعلّق الجرجاني ونظريته بالتراث نرى أنّه يخطو خطوات ممنهجة علمية حيث يمكن تقريب هذه الخطوات بالمراحل العلمية المحصاة من جانب بوبر وهذا يثبت عدم تعلّق أفكار الجرجاني وأعماله بالتراث فقط بل تتعلّق تلك الأفكار بعصرنا الحديث.
٢. حسب المرحلة الأولى من مراحل المنهج العلمي عند بوبر، يواجه الجرجاني مشكلة متعلّقة بمعايير جودة التعبير ونظم الكلام التي ما كان قد وفّق سابقوه في تعيينها وإحصائها ففي المرحلة الثانية يذهب هذا الرجل نحو مرحلة إبداع نظرية جديدة لحلّ هذه المشكلة وهي نظريته النظمية التي كانت تدور حول معاني النحو وتوخّيه، فيتّجه بعد ذلك نحو المرحلة الثالثة تعني اختبار نظريته باستعانته الشواهد الشعرية وغير الشعرية الكثيرة.
٣. قد روعيت في نظرية النظم بعض شروط النظرية العلمية الحديثة كالانتفاع بالمستويات الثلاث للكفاية (تعني الكفاية الملاحظية والكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية) وقدرتها على التنبؤ وفهم الظواهر المستقبلية.
٤. لا يكتفي الجرجاني في سبيل بناء نظريته بمستويي الوصف والملاحظة للكفاية بل يتجاوز إلى مستوى أشد تجريداً يعني مستوى الكفاية التفسيرية الذي يخوض في تأويل الظاهرة اللغوية وتفسيرها حتى يصل الأمر إلى صوغ قواعد عالمية تنطبق على جميع اللغات.
٥. من الدلائل التي تثبت قدرة نظرية عبدالقاهر للتنبؤ وتفسير تعبيرات لغوية مستقبلة هي شمولية هذه النظرية وتعميمها على المباحث اللغوية الأخرى واستخدامه مفهوم السببية الضرورية إمّا في النظر إمّا في التطبيق.
٦. عبدالقاهر الجرجاني يعلّمنا منهج العلم أو منهج المعرفة الذي يوصلنا نحو الوصول إلى المعارف الجديدة في كل الساحات العلمية خصوصا ساحة العلوم الإنسانية التي تعاني الضوضاء في مجال المنهج.

٧. والأخير هو أنّ هناك شروطا أخرى للنظرية العلمية مثل الاتساق والاقتصاد اللغوي والشمولية والتجريد التي أشير إليها في البحث ولكن ما طُبّقت على نظرية عبدالقاهر وما اختُبر مدى رعايتها فيها فيُقترح للباحثين الآخرين أن يعالجوا هذه القضية ويختبروا نقاط القوة والضعف لنظرية عبدالقاهر الجرجاني في ظلّ شروط النظرية العلمية الحديثة، كما يُقترح للباحثين المشتاقين إثبات وجود المنهج العلمي عند سائر علماء التراث في ضوء سمات المنهج العلمي الحديث.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية والفارسية

١. ابن منظور، محمّد بن مكرم (لا تا). ***لسان العرب***. ج١٢، بيروت: دار صادر.

٢. أبوزيد، سمير (٢٠٠٥). «منهج التجديد الديني عند الشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجاني». ***مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة***، العدد٣٦، صص١٦١-٢١٣.

٣. ـــــــــــ (٢٠٠٧). «نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجانى أول محاولة في العلوم الإنسانية». ***مجلة المواقف (المركز الجامعي في الجزائر)***، العدد١، صص١-٤٤.

٤. ـــــــــــ (٢٠٠٩). ***العلم والنظرة العربية إلى العالم: التجربة العربية والتأسيس العلمي للنهضة***. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٥. پوپر، كارل (١٣٨٤ش). ***اسطوره چارچوب در دفاع از علم وعقلانيت***. ترجمة على پايا، ط٢، طهران: طرح نو.

٦. الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٨٤). ***دلائل الإعجاز***. قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٧. ـــــــــــ (١٩٩١). ***أسرار البلاغة***. قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني؛ جدة: دار المدني.

٨. جمال العمري، أحمد (١٩٩٠). ***المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري***. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٩. حسين، عبدالقادر (١٩٩٨). ***أثر النحاة في البحث البلاغي***. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠. حمودة، عبدالعزيز (٢٠٠١). ***المرايا المقعّرة نحو نظرية نقدية عربية***. الكويت: عالم المعرفة.

١١. الحموي، ياقوت (لا تا). ***معجم الأدباء***. المراجعة وزارة المعارف العمومية. ج٨. عمّان: مطبوعات دار المأمون.

١٢. الخولي، أحمد (١٩٨٢). «من مناهج البحث العلمي... رأي في التفكير المنهجي عند عبدالقاهر الجرجاني». ***مجلة الجديد***، العدد٢٥٧، صص٢٨-٣١.

١٣. الشنيطي، محمد فتحي (١٩٦٩). ***المنطق ومناهج البحث***. بيروت: دار الطلبة العرب.

١٤. طريف الخولي، يمنى (٢٠٠٣). ***تصدير كتاب أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية لكارل بوبر***. الكويت: عالم المعرفة.

١٥. عبدالدايم، محمد عبدالعزيز (٢٠٠٦). ***النظرية اللغوية في التراث العربي***. القاهرة: دار السلام.

١٦. العلوي كمال، رشيدة (٢٠١٤). ***النحو التوليدي بعض الأسس النظرية والمنهجية***. الرباط: دار الأمان. الجزائر: منشورات الاختلاف؛ ومنشورات ضفاف.

١٧. محمد أبوموسى، محمد (٢٠١٠). ***مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني***. القاهرة: مكتبة وهبة.

١٨. محمد قاسم، محمد (١٩٩٩). ***المدخل إلى مناهج البحث العلمي***. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

١٩. موسوي، سيد محمد (١٣٨٨ش). «درآمدى بر فلسفه علم كارل پوپر». ***مجله پيك نور***، السنة٨، العدد٣، صص٩٨-١٠٨.

٢٠. نبوي، لطف الله (١٣٨٤ش). ***مباني منطق وروش شناسي***. تهران: دفتر نشر علمى دانشگاه تربيت مدرس.

٢١. هوكنج، ستيفن (لا تا). ***تاريخ موجز للزمان من الانفجار الكبير حتى الثقوب السوداء***. ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢. وهبة، مجدي وكامل المهندس (١٩٨٤). ***معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب***. ط٢، بيروت: مكتبة لبنان.

٢٣. يونس علي، محمد محمد (٢٠٠٣). «أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة». ***مجلة عالم الفكر***، المجلد٣٢، العدد١، صص١٢٧-١٧٥.

٢٤. ـــــــــــــــــ (٢٠٠٤). ***مدخل إلى اللسانيات***. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المواقع الإلكترونية

٢٥. أبوزيد، سمير (٢٠١٣). ***ملاحظات على النظم عند عبدالقاهر***. زمن الوصول: ٢٠١٣/١٢/١٣، من الموقع: https://mail.google.com

٢٦. دياب، سهيل رزق (٢٠٠٣). ***مناهج البحث العلمي***. زمن الوصول: ٢٠١٦/٠٥/٠٧، من الموقع: http://www.fhf.demo.blue.ps

٢٧. عثمان، أحمد (٢٠١٥). ***النظرية العلمية***. زمن الوصول: ٢٠١٦/٠٥/١٠ من الموقع: http://mogadishucenter.com/2015/06/21

Scientific Method and his Stages at al-Jurjani's Systems Theory in the Light of Karl Popper's Theory

Razieh sadat sadatolhosseini[1], Essa Mottaqizadeh[2]*, Khalil Parvini[3]

1. Ph.D. In Arabic Language and Literature, Tarbiat Modarres University, Tehran, Iran
2. Associate Professor, Arabic Department, Tarbiat Modarres University, Tehran, Iran
3. Professor, Arabic Department, Tarbiat Modarres University, Tehran, Iran

Abstract

This study aims to investigate the methodology of Al-Jurjani's theory in the light of the features of contemporary scientific method based on Karl Popper's theory. We have chosen this topic because we have seen some features of contemporary scientific theory in the theory of Al-Jurjani despite its association to heritage. We have also observed that Al- Jurjani acts in his theory on scientific method absolutely which corresponds to the steps of a scientific method that has been proposed by contemporary scientists Our approach in this study is a descriptive and analytical method .Thus at first, we define the terms and describe the stages of the scientific method and the features of contemporary scientific theory especially Karl Popper' theory; then are matching this process and features on the theory of Abd al-Qahir. The findings of this study show that Al-Jurjani adopted the idea of "Systems" from its predecessors and turned it into a scientific theory which has adhered in it three levels of adequacy: observational adequacy; descriptive adequacy; explanatory adequacy that lead to the ability to predict. We also conclude Abd al-Qahir wends in his theory scientific steps when comes to solving the problem that existed in his mind therefor tested it with ample evidence of poetry and non-poetry.

Keywords

Abd al-Qahir al-Jurjani, Karl Popper, Scientific Method, Scientific Theory, The systems theory.

* **Corresponding Author, Email:** emottaqi@yahoo.com